أهم السمات المشتركة بين جبانات الصحراء الغربية، ومنطقة النيل الأوسط بالسودان خلال العصر الحجري الحديث

أ/ ريهام محمود زكي السيد، أ.د. زكريا رجب عبد المجيد، د.حندوقة إبراهيم فرج

مُلَخّص:

تعتبر دراسة الدفنات والبقايا البشرية من أهم المصادر الأثرية خلال العصر الحجري الحديث، لاسيما في مناطق الصحراء الكبرى ووادي النيل. ولا تقتصر أهميتها على الجانب الجنائزي أو ممارسات الدفن فقط، بل أيضاً فيما يتعلق بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات القديمة. ومن خلال الدراسة التحليلية لعادات وممارسات الدفن المتبعة خلال العصر الحجري الحديث في منطقة الصحراء الغربية (في مصر والسودان) ومنطقة النيل الأوسط (النوبة العليا ووسط السودان)، تظهر لنا العديد من السمات المشتركة بين كلا المنطقتين خاصة المواد الثقافية المصاحبة للمتوفى (الأثاث الجنائزي). ولعل تكرار تواجد بعض المواد الثقافية (سواء كمواد خام أو أدوات مصنعة) داخل الدفنات قد يدل على وجود فكري ديني أو جنائزي مشترك بين كلا المنطقتين، كما يدل على أهمية هذه المواد ووجود دلالة أو رمزية معينة لها. وتستعرض هذه الورقة البحثية بعض السمات المشتركة بين جبانات الصحراء الغربية، ومنطقة النيل الأوسط بالسودان خلال العصر الحجري الحديث، وأماكن وجودها وتوزيعها داخل الدفنات.

كلمات مفتاحية

العصر الحجري الحديث (النيوليثي)، عادات الدفن، الصحراء الغربية، الأثاث الجنائزي، النيل الأوسط.

Summary:

The common features between the Neolithic burials in the Western Desert and the Middle Nile Region

The study of human remains is considered one of the most remarkable archeological resources during Prehistoric, especially Neolithic in Sahara and the Nile Valley. This remarkable importance is not only related to the funeral aspect, but also the economic and social aspects. Through the analyzed detailed study of the human burials during Neolithic in the Western Desert (In Egypt and Sudan) and the Middle Nile Region (Upper Nubia and Central Sudan), some common materials/ features can be defined specially related to the funeral goods accompanied to the deceased (raw material or as worked tools). The existed of these common materials/ features may refer to their importance to these societies during Neolithic. This paper aims to highlight some of these common features between the Neolithic burials in the Western Desert and the Middle Nile Region.

Keywords :

Neolithic, Burial customs, Western Desert, Funeral goods, Middle Nile Region.

مُقدمة:

تعد الدفنات البشرية من أهم مصادر دراسة العصر الحجري الحديث (من حوالي ٦٠٠٠ ق.م وحتى ٣٥٠٠ ق.م) في منطقتي الصحراء الغربية والنيل الأوسط (المنطقة الممتدة من وادي النيل من الجندل الأول وحتى الجندل السادس، وماحولهم)، حيث تم العثور على بعض الجبانات والتي تؤرخ لمراحل مختلفة خلال العصر الحجري الحديث (النيوليثي) ومن أهمها: جبل الرملة (بالصحراء الغربية)، وكدركة وR12 والبرقة والملتقى (بالنوبة العليا)، الكدرو، الكدادة والغابة (في وسط السودان). ومن خلال دراسة الدفنات والمواد الثقافية المصاحبة لها، يظهر وجود بعض السمات المشتركة بين تلك المواقع، لاسيما فيما يتعلق بالأثاث الجنائزي المصاحب للدفنات. وهو ما قد يدل على وجود أهمية أو رمزية معينة لتلك المواد (؟)، كما أن تسجيل وجودها داخل الدفنات قد يشير إلى علاقات ثقافية وتجارية متبادلة بين تلك المواقع وبعضها. ويستعرض هذا البحث أهم السمات المشتركة بين جبانات الصحراء الغربية ومنطقة النيل الأوسط خلال العصر الحجري الحديث من خلال ما عثر عليه داخل الدفنات البشرية بهذه الجبانات.

- أهم السمات المشتركة بين جبانات الصحراء الغربية، ومنطقة النيل الأوسط بالسودان:

من خلال الدراسة المفصلة للدفنات النيوليثية التي عثر عليها في الجبانات النيوليثية بالصحراء الغربية ومنطقة النيل الأوسط (النوبة العليا، والسودان الأوسط)، يمكن رصد بعض السمات المشتركة بين الجبانات المختلفة في بعض الممارسات وبعض المواد التي وضعت بصحبة المتوفى. وفيما يلي استعراض لأهم السمات والممارسات المشتركة بين الجبانات النيوليثية في الصحراء الغربية، ومنطقة النيل الأوسط:

١. الأصباغ والمواد الملونة (المغرة الحمراء والملاخيت)
٢. جماجم الثيران Bucrania
٣. الوسائد النباتية أسفل رأس المتوفى
٤. الأنماط المتشابهة من الفخار
٥. كئوس التوليب
٦. التماثيل الصغيرة

١- الأصباغ والمواد الملونة:

ظهرت الأصباغ والمواد الملونة (المغرة الحمراء) في أكثر من موضع بالجبانات النيوليثية بمنطقة النيل الأوسط، إما على هيئة كتل صغيرة أو مسحوق، أو بقايا ألوان على العظام (أو أجزاء منها)، ربما كان يرتبط تلوين الجسم بالمغرة بتزيين الجسد وربما لحماية الجثمان. والجدير بالذكر أن المغرة

والأصباغ الأخرى قد تم استخدامها منذ العصر الحجري القديم في أنحاء كثيرة من العالم سواء لتلوين الجسد (في سياق الدفنات) أو لتلوين الفخار وغيره.[١]

أ- في الصحراء الغربية:

- جبانة جبل الرملة:

تعتبر المواد الملونة والأصباغ من المواد الشائعة في الأثاث الجنائزي في جبل الرملة حيث عثر على قطع من المغرة الحمراء قد يصل قطرها إلى عدة سنتيمترات. كما تضم بعض الدفنات قطع صغيرة من الأصباغ سواء المغرة الحمراء والصفراء من الهيماتيت والليمونيت، ومسحوق الملاخيت الأخضر.[٢] كما تعد المغرة الحمراء أكثر المواد شيوعاً بالجبانة المخصصة للأطفال حيث تظهر في جميع الدفنات تقريباً، متنوعة الحجم، وموجودة حول وبين العظام، هذا بالإضافة إلى قطع الليمونيت التي عثر عليها بجانب رأس المتوفي، كما عثر على قطعة من الملاخيت بإحدى الدفنات كانت موجودة مع بعض الصدف من نوع **Bivalve**.[٣] هذا بالإضافة إلى ما عثر عليه بجبانات جبل الرملة من أواني فخارية صغيرة، وحاويات من قرون الحيوانات لوضع الأصباغ والمواد الملونة.[٤]

ب- في جبانات النوبة العليا

- جبانة R12

يوجد توزيع متجانس للمغرة الحمراء بالدفنات في الجبانة النوبية R12 الواقعة بقطاع دنقلة الشمالي، لكن مع بعض الاختلافات الواضحة: ففي عدد كبير من الحالات، فإن الحفرة المخصصة للدفن **Grave-pit** قد تم تغطيتها بطبقة سميكة من مسحوق المغرة (ربما كان يقصد بها أنها مثل الفراش للمتوفي؟). وفي كثير من الحالات، فإن طبقة المغرة موضوعة أسفل وأعلى الجثمان تاركة آثارها على العظام ربما نتيجة لهذه الممارسة[٥]. وتذكر البعثة الإيطالية التي عملت بالموقع وجود ٥٢ دفنة بها طبقة من المغرة (بنسبة ٣٣,٧٧%) بينما يوجد ٣٣ دفنة تحمل عظامها آثار المغرة

1) Marshack, A. (1981). On Paleolithic ochre and the early uses of color and symbol. *Current Anthropology*22 (2). pp.188-191

2) Kobusiewicz, M., Kabaciński, J., Schild, R., & Irish, J. D. (2009). Burial practices of the Final Neolithic pastoralists at Gebel Ramlah, Western Desert of Egypt. *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan, 13*. p.149

3) Czekaj-Zastawny, A.; Goslar, T.; Irish, J.; Kabaciński, J. (2018). Gebel Ramlah- a Unique Newborns' Cemetery of the Neolithic Sahara. *African Archaeological Review, 35*(3). p.399

4) Kobusiewicz, M. et al.(2009). p.149

5) Salvatori, S. & Usai, D. 2008. A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach (Sudan): Grave Catalogue.in: Salvatori, S. & Usai, D. (eds.). A Neolithic Cemetry in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12. *Sudan Archaeological Research Society*. Publication Number 16. Archeopress. Oxford. pp. 161-283

(أي تمثل نسبة ٢١,٤٣%). أما الدفنات التي تحتوي على كتل أو مسحوق المغرة أو أدوات تحمل آثار المغرة فعددها ٤٨ دفنة (أي بنسبة ٢٩,٩١%). وفي ٢٩ حالة تم الجمع بين الحالتين (أي بنسبة ١٧,٤٧%)، كما يتضح من الجدول. وهذا يدل على استخدام المغرة الحمراء على نطاق واسع بجبانة R12 سواء كمسحوق أو كتل صغيرة. ومن غير الممكن معرفة إذا ماكان يتم تلوين الجثمان أيضاً بالمغرة نظراً لتحلله.[١]

تمثيل المغرة بالدفنات بجبانة R12	عدد الدفنات	النسبة المئوية
طبقة من المغرة (كفراش للمتوفى)	٥٢ دفنة	%٣٣,٧٧
بقايا العظام تحمل آثار المغرة	٣٣ دفنة	%٢١,٤٣
المغرة على هيئة كتل أو مسحوق المغرة أو أدوات تحمل آثار المغرة	٤٨ دفنة	%٢٩,٩١
الجمع بين الحالتين (كتل ومسحوق وأدوات)	٢٩ دفنة	%١٧,٤٧
العدد الإجمالي:	١٦٢ دفنة	

جدول (١): تمثيل المغرة الحمراء بالدفنات النيوليثية داخل جبانة R12 . المصدر:
Salvatori, S. & Usai, D. (2008). p.58

ج- <u>في جبانات السودان الأوسط:</u>

- **جبانة الغابة:**

ظهرت الأصباغ والمواد الملونة (المغرة) في جبانة الغابة، كما تم العثور على شرائح من الملاخيت وأو آثار اللون الأخضر على الأسنان. وتتوزع هذه العناصر بشكل متجانس في تسلسل جبانة الغابة – والذي استمر لفترة طويلة من الزمن تقدر بأكثر من ألف عام.[٢] فقد تم تلوين العظام المغرة في ٢٨ حالة، بينما تم وضع المغرة ككتل أو كمسحوق على الأدوات المصاحبة للدفنة في ١٨ حالة (منهم ٦ حالات مشتركة تم تلوين العظام ووضع المغرة). وغالباً المناطق التي يتم تلوينها بالمغرة محدودة جداً، والأمر نفسه بالنسبة للمسحوق الذي كان يوضع في بعض المواضع أسفل الجثمان. وتصل نسبة الدفنات التي تضم كميات من المغرة إلى ١٥,٠٩%، بينما يبلغ عدد الدفنات التي تحتوي على كميات عظام عليها آثار المغرة ١٠,٥٧% مع وضع في الإعتبار حالة الحفظ

1) Salvatori, S. & Usai, D. (2008). p.58.
2) Salvatori, S. (2016). Ghaba Cemetery Seriation and Radiometric Chronology, In: Salvatori, S., Usai, D., & Lecointe, Y. (Eds.). GHABA: An early Neolithic cemetery in central Sudan. Africa Magna. p.49

الفقيرة للعظام في جبانة الغابة.[1] وبذلك تختلف جبانة الغابة عن جبانة R12 في أن مسحوق المغرة الحمراء كان يوضع على بعض الأجزاء من المتوفي (آثارها على بعض العظام وليس كامل الهيكل) في الغابة، بينما يوضع على كامل الهيكل في جبانة R12.

تمثيل المغرة بالدفنات بجبانة الغابة	عدد الدفنات	النسبة المئوية
تلوين العظام بالمغرة الحمراء	٢٨ دفنة	%١٠,٥٧
وضع المغرة ككتل أو كمسحوق على الأدوات المصاحبة للدفنة	١٢ دفنة	%١٥,٠٩ (يشكلان معاً من إجمالي عدد الدفنات بالجبانة)
الحالتين معاً (ككتل – وعلى الأدوات)	٦ دفنات	

جدول (٢): تمثيل المغرة الحمراء بالدفنات النيوليثية بجبانة الغابة. المصدر:
Salvatori, S. (2016). p.52

أما اللون الأخضر الذي عثر على آثاره على الأسنان، فيعزي إلى آثار شرائح الملاخيت Malachite Chips والتي عثر عليها كاملة في الدفنات. وتم رصد هذه الممارسة في الغابة، حيث ظهرت آثار اللون الأخضر في ٦٤ دفنة (بنسبة ٢٤,١٥% من الدفنات التي تم توثيقها)، كما تسجيل العثور على شرائح الملاخيت نفسها في ١٩ دفنة (بنسبة ٧,١٧%). كما رصد كلا من وجود شرائح الملاخيت وآثار اللون الأخضر معاً في ١٤ دفنة. وهناك حالة واحدة في الغابة (الدفنة ٢٧٨) حيث يوجد آثار بقعة خضراء اللون تم تفسيرها كأثر post-mortem effect حيث كان يرتدي المتوفى أسورة من العاج على الرسغ الأيمن عليها آثار لون أخضر نتيجة لوجود شرائح الملاخيت بجوارها. وفي نفس الدفنة، عثر على زينة للشفاه Lip- Plug تحمل أيضاً آثار باللون الأخضر بسبب وجود الملاخيت التي وضعت داخل الفم. وهناك حالة أخرى واضحة في الدفنة رقم ٣١٥ حيث سجل آثار لون أخضر على أصابع اليد التي كانت تقبض على قطعة من الملاخيت. وعلى النقيض، فلا يوجد أي آثار للون الأخضر على زينة الشفاه بالدفنة رقم ٣٠٠ رغم وجود آثار اللون الأخضر على الأسنان.[2]

1) Salvatori, S. (2016). p.52
2) Salvatori, S. (2016). p.53

وجود الملاخيت \ آثاره على الدفنات	عدد الدفنات	النسبة المئوية
آثار اللون الأخضر على الهيكل العظمي	٦٤ دفنة	%٢٤,١٥
وجود شرائح الملاخيت	١٩ دفنة	%٧,١٧
شرائح الملاخيت وآثار اللون الأخضر معاً	١٤ دفنة	% ٥,٦

جدول (٣): وجود الملاخيت \ آثاره على الدفنات بجبانة الغابة النيوليثية. المصدر: Salvatori, S. (2016). p.53

- **جبانة الكدادة:**

وفي الجبانة اللاحقة في الكدادة، الواقعة على بعد حوالي ١ كم غرب الغابة، فقد تم تسجيل آثار المغرة الحمراء على العظام الأدمية في ٣ حالات فقط في الجبانة A بالكدادة (أي بنسبة ٣,٨% من ٧٩ دفنة) بينما احتوت ٤ دفنات على كتل من المغرة.(١) الجدير بالذكر أنه لم يتم تسجيل وضع المغرة الحمراء بالدفنات سواء ككتل أو تلوين العظام في الجبانة B بالكدادة، بينما في الجبانة C تم رصد آثار المغرة على العظام الأدمية في ٧ حالات (أي بنسبة ١٢,٢٨% من عدد الدفنات التي تم حفرها وعددهم ٥٧ دفنة). وفي حالة واحدة تم وضع مسحوق المغرة على جماجم الثيران (في القبر رقم Grave 75\5) لكن لم يتم تسجيل العثور على كتل أو شرائح المغرة في تقارير الحفائر.(٢) ويتلاحظ أنه في الكدادة، أن آثار المغرة دائماً ممثلة على كامل الهيكل أو على أجزاء كبيرة منه. كما يوجد بعض الحالات بها آثار المغرة على العظام بشكل كامل، بينما لا يوجد أي ذكر لمسحوق المغرة حول أو أسفل الجثمان. وفي كلا الحالتين، يحتمل أن الجسد كان مغطياً (سواء بشكل كامل أو جزئي) كجزء من طقوس الدفن. وطبقاً للتحليل الراديومتري، فإن جبانة الكدادة تغطي أجزاء كبيرة من الألفية الرابعة ق.م، وهذا يؤكد استمرار استخدام المغرة في النيوليثي المتأخر في السودان الأوسط.(٣)

كما تم رصد وجود شرائح الملاخيت في دفنات عديدة بجبانة الكدادة، على النحو التالي:

1) Reinold, J. (2007). La nécropole néolithique d`el- Kadada au Soudan central. Volume I. Les cimetières A et B (NE-36-O/3-V-2 et NE-36-O\3-V-3) du Kom principal. Editions Recherches sur les Civilisations. Paris.
2) Reinold, J. (1982). Le site Préhistorique d`El-Kadada (Soudan central). La Nécropole. Thèses de décorât de troisième cycle. Université de Lille III, Lille.
3) Salvatori, S. (2016). p.53

اسم الجبانة بالكدادة	عدد الدفنات	النسبة المئوية (من إجمالي العدد بالجبانة)
الجبانة أ -Cemetery A	٥	%٦,٣٣
الجبانة ب -Cemetery B	١	%٨,٣٣
الجبانة ج -Cemetery C	١٥ *مع ملاحظة عدم وجود آثار لون أخضر على الأسنان	%٢٦,٣٢

جدول (٤): وجود اللون الأخضر (آثار الملاخيت) بالجبانات المختلفة بالكدادة. المصدر:
Salvatori, S. (2016). p.53

تجدر الإشارة إلى أنه تم تسجيل وجود الملاخيت في دير تاسا، وثقافة البداري ومقابر عصر ما قبل الأسرات في مصر.[١] وفي النوبة، تم تسجيل العثور على شرائح ومسحوق الملاخيت في عدد ٦ فقط من الدفنات بجبانة R12)، أي بنسبة ٣,٩٩% من عدد الدفنات)، ولسوء الحظ فإنه لا توجد بيانات موثقة عن باقي الجبانات النيوليثية الأخرى في منطقة كدركة الواقعة جنوب شرق كرمة.[٢] كما تجدر الإشارة إلى العثور على حاويات صغيرة للأصباغ في جبل الرملة[٣] وفي صدينقة[٤]، وفي كدركة ١[٥]، وكذلك في R12[٦]. ويقترح استخدام المغرة وأصباغ الملاخيت في الجبانات النيوليثية من النوبة وحتى السودان الأوسط إنتشار معتقد ا فكر عام باستخدامها في الدفنات، مع الاختلاف والتنوع

1) Aston; B. & Harrel, J.A.& Shaw, I. (2000). Stones. In: Nicholson, T. & Shaw, I. (eds), Ancient Egyptian Materials and Technology. Cambridge University Press. Cambridge. Pp.5-77.
2) Salvatori, S. (2016). p.53
3) Kobusiewicz, M. & Kabacinski, J. (2010). Cemeteries. In: Kobusiewicz, M., Kabacinski, J. Schild, R., Irish, J.D., Gatto, M.C. & Wendorf, F. (eds), Gebel Ramlah. Final Neolithic Cemeteries from the Western Desert of Egypt. Institute of Archaeology and Ethnology, Polish Academy of Sciences, Poznan, pp.7-115.
4) Reinold, J. (1993). Les sépultures primitives de Sedeinga dans le contexte du Néolithique Soudanais. In : Berger, C., Clerc, G. & Grimal, N. (eds), *Hommages à Jean Leclant, Vol. 2 : Nubie, Soudan, Éthiopie*. Paris, pp. 351-359.
5) Reinold, J. (2004). Le Néolithique soudanais : funéraire et structures sociales. In : Guilaine, J. (ed.), *Aux marges des grands fouers du Néolithique. Périphéries débitrices ou créatrices ?* Editions Errance, Paris, pp. 149-174.
6) Cenci, L. (2008). The animal-bone tools. In: Salvatori, S. & Usai, D. (eds), *A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12*. Sudan Archaeological Research Society Publication Number 16. Archaeopress, Oxford, pp. 79-81.

في عددها وكميتها وحالتها (سواء مسحوق أو كتل صغيرة أو شرائح) ، وهو ما قد يفسر بوجود اختلافات محلية بين المجموعات السكانية المختلفة. وعلى أية حال، فإنه يتضح مما سبق أهمية استخدام المغرة والأصباغ والمواد الملونة في الدفنات النيوليثية، وإن كانت هذه النقطة تحتاج لمزيد من البحث العلمي المفصل لمعرفة وظيفتها ودلالة وجودها في السياق الجنائزي.

٢- جماجم الثيران Bucrania:

ظهرت البقايا الحيوانية داخل الدفنات النيوليثية بشكل عام، سواء كبقايا أو أجزاء من الحيوان، أو كأدوات مصنوعة من العظم. ومن ضمن البقايا الحيوانية المميزة للدفنات النيوليثية بمنطقة النيل الأوسط: جماجم الثيران. إن أقدم جبانة نيوليثية عثر فيها على جماجم الثيران بصحبة الدفنات هى جبانة البرقة حيث تم تسجيل العثور عليها في دفنة مزدوجة لرجل بالغ وطفل.[١] والجدير بالذكر، استمرار هذه الممارسة لاحقاً في حضارة كرمة، حيث عثر على العديد من قرون الثيران والماشية في الجبانة الشرقية بكرمة، مما يدل على استمرار الأهمية الكبيرة للماشية في السودان القديم.[٢]

أ- في الصحراء الغربية:

- جبل الرملة:

تضم كثير من الدفنات النيوليثية في النوبة جماجم الثيران. ولكن، هناك مثال مميز يتمثل في جبانتي E-01-2، E-03-1 في جبل الرملة حيث تم تسجيل العثور على قرن بقرة في اثنين من الدفنات.[٣]

ب- في جبانات النوبة العليا:

- جبانة R12

تم تسجيل العثور على قرون الثيران في ٤٠ دفنة (بنسبة ٢٥,٩٧%). ووجود قرون الثيران في هذه الجبانة يعد أمراً مثيراً للإنتباه حيث عثر على عدد ٦٠ من قرون الثيران في ٤٠ دفنة، وهو ما يمكن تفسيره بأنه يرتبط بتربية الماشية في الإقتصاد النيوليثي لسكان R12. ويشير هذا العدد الكبير إلى مدى ثروة هذه المجموعة السكانية من الرعاة برؤوس الحيوانات والتضحية بها ووضعها بصحبة

1) Honegger, M. (2005). Kerma et les débuts du Néolithique Africain. *Genava* LIII, pp.239-249.
2) Chaix, L. et al. (2012). Bucrania from the Eastern cemetery at Kerma (Sudan) and the practice of Cattle Horn deformation. Prehistory of Northeastern Africa. *Studies in African Archaeology* 10. *Poznań Archaeological Museum* 2012. pp.185-208
3) Kobusiewicz, M. & Kabacinski, J. (2010). pp. 80

المتوفى. بالإضافة إلى أن هذا يمثل دليلاً التأثير القوي للمصدر الاقتصادي على المعتقدات الاجتماعية للسكان، كما تعتبر مؤشراً للمكانة الاجتماعية ليس فقط خلال الحياة اليومية، بل وفي السياق الجنائزي أيضاً.[١] ولسوء الحظ، فإنه لا يوجد بيانات موثقة عن عدد قرون الثيران التي عثر عليها في جبانات كدركة بالنوبة العليا، مما يعيق الدراسة المقارنة في تلك النقطة.[٢]

ج- في جبانات السودان الأوسط:

- جبانة الغابة:

على العكس من جبانات النوبة العليا، ففي جبانة الغابة، فإن هذه الممارسة نادرة حيث تم تسجيلها في ٨ دفنات فقط (أي بنسبة ٣,٠٢%)، وهى عبارة عن مجموعة واحدة من الدفنات قريبة من بعضها في توزيعها المكاني (باستثناء دفنة واحدة)[٣]*، وهى تؤرخ للنصف الأول من الألفية الخامسة ق.م. ويمكن الإفتراض بأن هذه الدفنات السبع تنتمي لمجموعة سكانية أخرى، ولكن مع مراعاة أنها تقع في القطاع الشمال الشرقي للجزء الغير محفور من الموقع الأثري (الجزء الشمالي الغربي)، مما يطرح إحتمالية وجود دفنات أخرى غير مكتشفة تضم جماجم الثيران. أما الدفنة المنعزلة فهي تنتمي لمجموعة أخرى من الدفنات تقع في الجزء الجنوب الغربي وهى أيضاً تنتمي لجزء من التل لم يتم العمل به. إن خصوصية هذه الدفنات في تميزها أيضاً في الأثاث الجنائزي حيث أن ٧ من أصل الثمانية حالات يوجد أواني حمراء مصقولة ذات حواف سوداء **biconical** الشكل، وهو نمط من الأواني الفخارية موجود في موقع الغابة، ويؤرخ للنصف الأول من الألفية الخامسة ق.م. ويمكن الإفتراض بوجود علاقة مباشرة بين وجود قرون الثيران وبين وجود جماعات من الرعاة ضمن سكان موقع الغابة، وأنهم كانوا يمثلون قلة من السكان (بناء على عدد الدفنات القليلة التي عثر بها على قرون الثيران).[٤]

- جبانة الكدادة:

تم تسجيل وجود قرون الثيران في ٩ من الدفنات (أي بنسبة ١٥,٧٩% من الدفنات) في الجبانة ج Cemetery C بالكدادة، ولم يتم ذكر العثور على أي قرون للثيران في جبانات أ، ب بالكدادة. [٥] وعلى أية حال، تظهر أهمية تربية الماشية من خلال وجود جماجم الثيران بالدفنات، وهى ذات معدل أقل

1) Pöllath, N. (2008). Tools, ornaments and bucrania: the animal remains. In: Salvatori, S. & Usai, D. (eds), *A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12*. Sudan Archaeological Research Society Publication Number 16. Archaeopress, Oxford. pp. 59-77.
2) Salvatori, S. (2016). p. 54
3) Salvatori, S. (2016). p.54
4) Salvatori, S. (2016). p.54
5) 7 Gautier, A. & Van Neer, W. (2011). The fauna of Kadero and the arrival of pastoralism in the Nile Valley of Central Sudan. In: Chlodnicki, M., Kobusiewicz, M. & Kroeper, K. (eds), *The Lech Krzyzaniak Excavations in the Sudan. Kadero*. Poznan Archaeological Museum, Poznan. pp. 406-407.

بالمقارنة مع جبانة R12 (الدفنات الثمانية)، والتي يمكن تفسيرها بأنها تمثل مجموعة من الرعاة الذين شكلوا أقلية في مجتمع الغابة. ويبدو أن هذه الممارسة قد استمرت بالمنطقة حتى الألفية الرابعة ق.م (حيث الجبانة ج بالكدادة)، والتي تزيد من احتمالات الأصول الرعوية للإقتصاد خلال النيوليثي المبكر والمتأخر في السودان الأوسط.

٣- الترسبات البيضاء أسفل رأس المتوفي: (الوسادة النباتية أسفل رأس المتوفى):

من الممارسات التي تم تسجيلها في الدفنات النيوليثية بمنطقة النيل الأوسط العثور على طبقة رفيعة السمك، في الغالب عبارة عن مسحوق لونه أبيض يميل للرمادي أسفل رأس المتوفى (في أغلب الحالات). وقد تم تفسير هذه البقايا أنها جلود حيوانية كوسادة أسفل رأس المتوفى. تم تسجيل هذه الممارسة في عدة جبانات منها الغابة التي عثر عليها في ٣٩ دفنة (بنسبة ١٤,٧٢%)، وهى تغطي تقريباً التسلسل الزمني للجبانة كاملاً دون التركيز على فترة زمنية بعينها. وهناك بعض الأمثلة القليلة التي جمعها الحفارون تم العثور عليها في صناديق مخزنة في القسم الفرنسي لمصلحة الآثار السودانية SFDAS وتم تحليلها بمعامل جامعة بادوفا من خلال المشروع الإيطالي الذي عمل بالجبانة لإعادة دراسة جبانة الغابة. وأسفر هذا التحليل عن أن هذه الترسبات تتكون في الأساس من مواد نباتية تحمل الكثير من بقايا **phytoliths** ، حيث كانت توضع المواد النباتية كوسادة أسفل رأس المتوفى.[١]

ولا نعرف الكثير عن تلك الممارسة في جبانات السودان الأوسط، فيما عدا الجبانة ج بالكدادة، حيث عثر على آثار لتلك الطبقة على الأقل في أربع دفنات (بنسبة ٧,٠٢%)[٢]. كما يذكر رينولد العثور على بقايا نباتية على جمجمة بالدفنة رقم WF1 بجبانة صدينقة.[٣] كما تم تسجيل العثور على بقايا شعير Barley في كدركة ١.[٤] وأرخت هذه الجبانة إعتماداً على الكربون المشع إلى النصف الثاني من الألفية الخامسة ق.م، وبهذا تتوافق مع العصر النيوليثي الوسيط بالنوبة بمرحلته الثانية ب أو ما يطلق عليه "مرحلة الملتقي **Multaga phase**".[٥] كما تم تسجيل العثور

1) Salvatori, S. (2016). p.54
2 Reinold, J. (1982). p.90.
3 Reinold, J. (1993). p. 352
4 Reinold, J. (2001). Kadruka and the Neolithic in the Northern Dongola Reach. *Sudan & Nubia* 5. pp.2-10.
5 Salvatori, S. (2008). Relative and absolute chronology of the R12 cemetery. In: Salvatori, S.& Usai, D. (eds), *A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12*. Sudan Archaeological Research Society Publication Number 16. Archaeopress, Oxford. pp.139-146.

على بقايا الوسادة النباتية في جبانة R12 بالنوبة العليا في دفنات أرقام: ٥٦ (دفنة سفلية Inferior)، ٤٦، ١١١، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٢.[١]

الجبانة	عدد الدفنات	النسبة المئوية
الغابة (السودان الأوسط)	39	14.72%
الجبانة ج بالكدادة Cemetery C (السودان الأوسط)	4	7.02%
كدركة ١ (النوبة العليا)	غير متاح العدد	غير متاح العدد
R12 (النوبة العليا)	6	3.01%

جدول (٥): وجود بقايا المادة البيضاء (الوسادة النباتية) داخل الدفنات. المصدر:
Salvatori, S. (2016). p.54

٤- الأنماط المتشابهة من الفخار (كئوس التوليب):

في البداية، يجب وضع في الإعتبار حقيقة هامة وهى أن من ضمن كل الجبانات النيوليثية هناك ثلاثة جبانات فقط تم نشرها علمياً بشكل مفصل بمنطقة النيل الأوسط: جبانات الكدادة أ، ب، وجبانة R12 وجبانة الكدرو. هذا بالإضافة إلى جبانة الغابة والتي تم إعادة دراسة بعض المواد الثقافية من خلال فريق العمل الإيطالي بقيادة ساندرو سالفتوري حديثاً. بينما يوجد جبانة واحدة بالصحراء الغربية هى جبل الرملة، والتي أظهرت دراسة المواد الثقافية بها وجود علاقات بينها وبين وادي النيل بالسودان. ومن بين تلك الجبانات المذكورة، فإن جبانتي R12 (بالنوبة العليا)، والغابة (بالسودان الأوسط) متعاصرتين زمنياً بشكل كبير، وتتلاقيا بشكل جزئي مع الكدرو، بينما تعتبر الكدادة هى الأحدث حيث تلحق بهم زمنياً.[٢]

ولعل من أهم الأواني الفخارية المميزة والتي عثر عليها بعدة مواقع في الصحراء الغربية، ومنطقة النيل الأوسط هى كئوس التوليب. وهى تعد نمطاً مميزاً جديداً من الأواني الفخارية ظهر عند نهاية الألفية الخامسة وبداية الألفية الرابعة ق.م، وقد انتشر في منطقة شاسعة من شمال شرق إفريقيا. وتأخذ هذه الأواني شكل التوليب أو Caliciform Beaker ، وهى أواني ذات قاعدة محدبة convex وذات فوهة واسعة flared rims ، على الرغم من تسجيل بعض النماذج ذات قواعد

1 Salvatori, S. (2016). p.54
2 Salvatori, S. (2016). p.56

مسطحة. أما معالجة السطح الخارجي، فكانت غنية بالزخارف الهندسية والتي كانت إما محزوزة incised أو مطبوعة Impressed.(١)

وقد ظهرت هذه الأواني للمرة الأولى في دفنات حضارة تاسا في مصر (موقع دير تاسا)(٢)، وتم ذكرها في عدة منشورات علمية وأطلق عليها عدة أسماء: Caliciform beakers, Tulip Beakers, Tasian Beakers. وتم العثور على أغلب هذه الكئوس في الدفنات حيث كانت توضع بصحبة المتوفى عند الرأس أو عند منطقة الحوض. بينما عُثر على عدد أقل في سياق المستوطنات. ويرجح أن النطاق الجغرافي لانتشار هذه الكئوس في وادي النيل من شمال مصر حتى منطقة الخرطوم. كما هناك بعض النماذج تم العثور عليها في وادي عطا الله Wadi Atulla في الصحراء الشرقية، كذلك بعض النماذج التي عثر عليها في الصحراء الغربية ما بين الواحة الداخلة حتى وادي هوار(٣) مثل موقع KS43 بالخارجة.(٤)

كانت هذه الكئوس واحدة من السمات المميزة لثقافة تاسا المصرية، وهى السلف الذي سبق ثقافة البداري. وقد تطورت دير تاسا في الربع الأخير من الألفية الخامسة ق.م وتم رصد إرهاصاتها الأولى قبل انتشار ثقافة البداري في صعيد مصر.(٥) وكان أهل دير تاسا قوماً رعاة يعيشون على أطراف الصحراء الشرقية (ولهذا كان من الصعب العثور على بقايا مستوطنات أو أماكن السكن نظراً لنمط الحياة الرعوي)، لكنهم اختاروا أطراف وادي النيل لدفن موتاهم بينما سكنوا الصحراء. ويرى الباحثون حالياً ثقافة تاسا بأنها ثقافة صحراوية ارتبط أهلها بعلاقات عديدة مع سكان وادي النيل.(٦)

أ- <u>كئوس التوليب في وادي النيل والصحراء الشرقية بمصر:</u>

عُثر على كئوس التوليب بالدفنات التاسية بشكل أساسي، لكن تم العثور على بعض النماذج في بقايا أماكن السكن. فإن تلك الأواني جيدة الصناعة ذات جودة عالية، وهى ذات قاعدة محدبة وفوهة متسعة. أما السطح الخارجي فكان عادة منعم ومزين بزخارف ذات أشكال هندسية منفذة على

1) Longa, Anna. (2011). p.13
2) Brunton, G. (1937). Mostagedda and the Tasian Culture. London
3) Longa, A. (2011). Neolithic beakers from North- Eastern Africa. Sudan and Nubia. *The Sudan Archaeological Research Society Bulletin* (15). p.13
4) Briois, F. et al. "Neolithic occupation of an artesian spring: KSO43 in the Kharga Oasis, Egypt." *Journal of Field Archaelogy* 37.2 (2012).pp. 178-191.
5) Hendricks, S. (2006). 'Predynastic – Early Dynastic Chronology', in E. Hornung, R. Krauss and D. A. Warburton (eds.). Ancient Egyptian Chronology. Leiden- Boston, pp. 55-93.
6) Friedman, R. F. & J. Hobbs. (2010) 'A "Tasian" tomb in Egypt`s Eastern Desert'. in R.F. Friedman (ed.). Egypt and Nubia: Gifts of the Desert. London. pp.178-191

هيئة نقوش أو حزوز. كما تم العثور على نماذج من تلك الكئوس في مواقع تنتمي ثقافة البداري في مصر العليا.[١] كما أظهرت لنا الاكتشافات في الصحراء الشرقية في وادي عطا الله والذي تم تأريخه لحوالي ٤٩٤٠-٤٤٥٥ ق.م بعض النماذج من الكئوس التي تتميز بأنها صغيرة الحجم وذات فوهة أصغر إتساعاً، وقواعد ذات استدارة، بينما زين سطحها الخارجي بزخارف ذات أشكال هندسية إما منقوشة أو محزوزة.[٢]

ب- كئوس التوليب في الصحراء الغربية بمصر:

كما ظهرت هذه الكئوس في مواقع قليلة بالصحراء الغربية، حيث جبانات جبل الرملة التي تؤرخ للعصر الحجري الحديث المتأخر. وتقع هذه المرحلة في الألف الخامسة ق.م ، ويطلق عليها اسم بناة الأصنام **Bunat el- Asnam (Megalith Builders)**. وهناك ثلاث جبانات في جبل الرملة تأخذ أرقام **E-01-2, E-03-1, E-03-2** يرجح استخدامها من قبل جماعات استقرت في المنطقة حول أحد البحيرات التي كانت موجودة قديماً.[٣] وقد تم العثور على العديد من الأثاث الجنائزي الذي وضع بصحبة الدفنات منها ضمنها ٥ كئوس في حالة جيدة من الحفظ، وهى غنية بالزخارف ذات الأشكال الهندسية منها نموذج يأخذ شكل زخرفة على هيئة ثعبان ملتف [٤].

وإلى الجنوب حيث إمتداد الصحراء الغربية في السودان، فقد عثر على بعض النماذج في موقع **Abu Tabari 02\1** في وادي هوار الأسفل **lower Wadi Howar**. ومن خلال التحليل الراديوكربوني، فقد تم تحديد تأريخ استخدام المستوطنات عند حوالي ٣٨٠٠ ق.م حيث تم الكشف عن ٧ كئوس من بينهم نموذج كان مكتملاً إلى حد كبير.[٥] وتجدر الإشارة إلى أنه عثر على أحد التمائم من موقع **E-75-8** في نبطة بلايا، وهى عبارة عن كأس صغير رمزي **Miniature Beaker** به ثقبين للتعليق، وتم العثور عليه في صدر المتوفى في أحد الدفنات التي تؤرخ للعصر الحجري الحديث المتأخر.[٦]

1) Gatto, M.C. (2006). 'Prehistoric Nubian ceramics traditions: origins, development and spreading trajectories', in I. Caneva and A. Roccati (eds.) *Acta Nubica*. Roma, pp.103-106.
2) Gatto, M.C. (2006). pp.103-106
3) Kobusiewicz, M., J. Kabacinski, R. Schild, J. D. Irish and F. Wendorf. (2004). Discovery of the Neolithic cemetery in Egypt`s Western Desert, *Antiquity* 78, pp.566-578
4) Kobusiewicz, M., J. Kabacinski, R. Schild, J. D. Irish and F. Wendorf. (2009). Burial practices of the Final Neolithic pastoralists at Gebel Ramlah, Western Desert of Egypt, British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan 13. pp.147-174.
5) Longa, Anna. (2011). p.14
6) Jesse, F. (2008). Time of experimentation? The 4th and 3rd millennia BC in Lower Wadi Howar, Northwestern Sudan, in W. Godleweski and A. Lajtar, (eds.). Between the Cataracts. Vol. 1. Warzawa. pp. 33-48

ج- كئوس التوليب في النوبة السفلى:

أما في النوبة السفلى، فقد تم العثور على نموذجين كاملين في دفنة تنتمي للمجموعة الثالثة أو C- Group قي جبانة رقم ١١٨ في منطقة الدكة- السيالة Dakka- Sayala Area ولكن تم التأكد من أنهما لم يكونا في السياق الأصلي للدفنة.(١) كما تم دراسة نموذجين آخرين بواسطة (ماريا جاتو) من خلال دراستها للكسرات الفخارية من موقع Site SJE 365 الذي ينتمي لثقافة عبكا، وكانت هذه الكسرات مزينة بزخارف هندسية منفذة بطريقة الحز.(٢) ومن خلال نتائج الدراسات التي تمت في وادي النيل، أصبح في الإمكان تأريخ ثقافة عبكا إلى الفترة ٥٣٥٠- ٣٦٣٠ ق.م. ويتلاحظ أن أقدم تأريخ للمرحلة المتأخرة لثقافة عبكا يتفق مع تلك التواريخ من مواقع: كدركة ١٣، ٢١، وموقع R12 في النوبة العليا.(٣)

د- كئوس التوليب في النوبة العليا:

تم تسجيل أقدم نماذج لكئوس التوليب من جبانات R12 وكدركة بالنوبة العليا. وكما تم تسجيل العثور على بعض الكئوس في مواقع نيوليثية قليلة العدد موزعة في المنطقة ما بين الجندلين الثاني والثالث (على سبيل المثال موقع صدينقة Sedeinga)، كذلك المنطقة ما بين الجندلين الثالث والرابع. وبالنسبة لأقدم النماذج من الجبانات النيوليثية في كدركة وموقع R12 فقد كانت الأواني الفخارية توضع ضمن الأثاث الجنائزي للمتوفى. وقد ساعدنا تأريخ الكربون المشع لهذه المواقع على ربط أقدم هذه الكئوس بالنصف الأول من الألفية الخامسة ق.م. إن أغلب هذه الأواني من تلك المنطقة هى كئوس صغيرة ذات أسطح منعمة مزينة بزخارف منقوشة أو محزوزة. كما عُرف نوعاً من الكئوس الأطول ذات فوهة أكثر إتساعاً.(٤)

هـ - كئوس التوليب في وسط السودان:

وفي منطقة الخرطوم، بدأت الجماعات النيوليثية في استخدام تلك الكئوس خلال الألفية الرابعة ق.م وأصبح هذا النوع من الأواني واحداً من الأثاث الجنائزي المعتاد في دفنات تلك الفترة. وأقدم ثلاث أمثلة تم العثور عليهم في موقع الكدرو(٥)، وكانت الكئوس بنية اللون ذات سطح منعم وغني بالزخارف ذات الأشكال الهندسية المنقوشة والمحزوزة. وخلال العصر الحجري الحديث المتأخر

1) Longa, A. (2011). p14.
2) Gatto, M.C. (2006). p.105
3) Longa, A. (2011). p.14
4) Longa, A. (2011). p.14
5) Krzyzaniak, L. (1991).'Early farming in the Middle Nile basin: Recent discoveries at Kadero (Central Sudan)', *Antiquity* 65. pp.515-532

بالخرطوم، أصبحت الكئوس رفيعة نحيلة مع اتساع الفوهة أكثر، ويعبر عن هذه الفترة النماذج التي عثر عليها في جبانات الكدادة[١]، والجيلي.[٢]

ز- أهمية دراسة كئوس التوليب وتتبعها:

يبدو أن كئوس التوليب قد تطورت في منطقة النوبة العليا حيث ظهرت أقدم النماذج فيها، ثم ظهرت لاحقاً قليلاً في الصحراوات الشرقية والغربية وفي مواقع ثقافة تاسا، ثم ظهرت بعد ذلك في منطقة الخرطوم وحتى وادي هوار. وفي ضوء ذلك، فقد إنتشرت هذه الكئوس في النوبة العليا في الشمال والشمال الشرقي أولاً، ثم إلى الجنوب لاحقاً. وقد ظهرت كئوس التوليب في مناطق عديدة في شمال شرق إفريقيا من الأحجام الصغيرة وحتى الأواني الطويلة النحيلة ذات الفوهة الواسعة المتفتحة كالزهرة. وتفسر تلك الاختلافات بالفروق المحلية من منطقة لأخرى. بالإضافة إلى تنوع زخرفة السطح الخارجي وتباينها من منطقة لأخرى ربما أيضاً تبعاً للإختلافات المحلية.[٣]

هناك سمة مميزة لهذه الأواني وهى الدور الذي لعبته في السياق الجنائزي. فإن الغالبية العظمى من تلك الكئوس قد عثر عليه من الدفنات النيوليثية. وهى تضم مجموعة من الأثاث الجنائزي المميز والذي كان يوضع عادة في الدفنات الخاصة بالأفراد الهامين (أغلبهم من الذكور) الذين ربما قد لعبوا دوراً هاماً في مجتمعاتهم، ودرجة غنى القبر بالأثاث الجنائزي يوضح أهمية صاحبه الاجتماعية. ويفترض عدد من الباحثين مثل ويلزبي[٤]، وجاتو[٥]، وجيسي[٦]، و Kobusiewicz[٧]ان هذه الكئوس كان لها دوراً في الطقوس والشعائر الجنائزية مثل سكب السوائل (متعلق بطقسة ما خلال عملية الدفن؟)، على الرغم من عدم وجود أي تحليل يشير لوجود بقايا لبن أو أي نوع من الدهون داخل الكئوس، لكن الرأي السائد أن هذه الأواني ربما كانت تستخدم إما لحفظ السوائل أو صبها خلال طقس أو مناسبة معينة.[٨] لذا ربما يمكن القبول بأن هذه الاواني كان لها

1) Reinold, J. (1994). 'Le cimetière néolithique KDK.1 de Kadruka (Nubie soudanaise) : Premiers résultants et essai de corrélation avec les sites de soudan central', in C. Bonnet (ed.). *Etudes Nubiennes. Congres Int. d`études Nubienne*, Genève 1990. Vol.2. Genève, pp. 93-100
2) Caneva, I. (1988). El Geili: The history of a middle Nile environment, 7000 BC- 1500AD. British Archaeological Reports 424. London.
3) Longa, A. (2011). p.15
4) Welsby, D.A. (2001). p.571
5) Gatto, M. C. (2006). pp.104-106.
6) Jesse, F. (2008). p.59
7) Kobusiewicz, M., et al. (2009), p.150
8) Dittrich, A. (2011). p.89

أهمية طقسية. ومثل هذا التفسير قد يدعمه شكل التميمة التي تأخذ شكل الكأس (والتي عثر عليها في نبطة بلايا) والتي وضعت بصحبة المتوفي.[١]

لقد استخدمت كئوس التوليب في طقوس وشعائر الدفن خلال الألفيتين الخامسة والرابعة ق.م مع انتشار استخدامها من النوبة العليا وحتى وادي النيل (أي منطقة شمال شرق إفريقيا)، وهو ما يدعو لضرورة التفكير في تلك النقطة، وهى كيفية إنتشار تلك الكئوس والطقوس الجنائزية المرتبطة بها في منطقة متسعة جغرافيا. يفترض بعض الباحثين أن سكان منطقة شمال شرق إفريقيا خلال العصر الحجري الحديث قد تواصلوا عن طريق لغة مشتركة (على الأقل في بعض الأفكار الأساسية). ويمكن إثبات هذا التواصل من خلال الدلائل الأثرية حيث المواد الثقافية التي عثر بها خارج مناطقها الأصلية أي المواد المستوردة من بيئات أخرى عن طريق التبادل التجاري، وهو ما يظهر واضحاً في عدة مواقع بالصحراء الغربية والنوبة السفلى والعليا، ووسط السودان، فعلى سبيل المثال: حيث أصداف محار القادمة من منطقة البحر الأحمر وقد عثر عليها في جبانات منطقة النيل الأوسط (النوبتين، ووسط السودان)[٢] والصحراء الغربية في جبل الرملة[٣]، كذلك بعض الأحجار التي عثر عليها في الكدرو وأيضاً مستوردة من منطقة الجندل السادس، ومرتفعات البحر الأحمر والصحراء الوسطى. كما أنه عثر على الفيروز القادم من سيناء في عدة مواقع بنبطة بلايا.[٤] وبالمثل، فقد عثر على العاج قادم من الجنوب في عدة مواقع بالصحراء الغربية.[٥] ويمكن معرفة حجم التبادل بين المناطق المختلفة من خلال العثور على حجر الأوبسديان بالمواقع المصرية، وهو حجر أغلب الظن قادم من إثيوبيا[٦]. ويحتمل أن التواصل بين الجماعات النيوليثية في إفريقيا هو نتيجة حدوث هجرات مستمرة للمجموعات الرعوية بحثاً عن المياه والكلأ. وبهذا فإن نمط الحياة الرعوية المتنقل قد ساعد في تبادل ليس فقط المواد القيمة عن طريق التبادل التجاري، بل وأيضاً الأفكار الثقافية والممارسات الجنائزية.[٧]

كما أن نطاق الإنتشار الجغرافي لكئوس التوليب في حد ذاته هو إشارة هامة لوجود تواصل بين المجموعات السكانية النيوليثية وبعضها، حتى وإن كان هناك إختلاف في الطقوس المستخدم

1) Longa, A. (2011). p.15
2) Krzyzaniak, L. (1991). pp.515-531
3) Kobusiewicz, M., et al. (2004). pp. 566-578.
4) Wendorf, F., R. Schild, A. Applegate and A. Gautier. (1997). 'Tumuli, Cattle burials and Society in the Eastern Sahara' in B.E. Barich and M. C. Gatto (eds). Dynamics of populations movements and responses to climatic change in Africa, Rome, pp. 90-104
5) Kobusiewicz, M., et al. (2004). pp.566-578
6) Longa, Anna. (2011). p.16
7) Caneva, I. 'Prehistoric Hunters, herders and tradesmen in Central Sudan. Data from the Geili region', in W.V. Davies (ed.). Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam. London, pp.6-15.

فيها تلك الكئوس حسب المنطقة. كما يلاحظ أنه قد عثر على بعض الكئوس في سياق المستوطنات وليس الدفنات، وهو ربما يشير لوجود طقوس كانت تحدث سواء في الحياة الدنيا أو خلال طقوس الدفن، وهى أغلب الظن طقوس تتعلق بصب السوائل التي صاحبت كثير من الطقوس الخاصة منذ ولادة الطفل حتى الممات.(١)

٥- التماثيل الصغيرة:

تتميز الدفنات النيوليثية في منطقة النيل الأوسط بوجود تماثيل صغيرة مصنوعة من الطمي المحروق\ الفخار (التراكوتا) ، أو العاج، أو حتى الحجر إما لنساء أو لماشية. ويقترح أن وجود تماثيل الإناث والأبقار عادة ما يرتبط بالأمومة(٢). وبالرغم من أن دورة الحياة للماشية المستأنسة أقصر من دورة حياة البشر، فيحتمل أنه كان يتم تربية الأطفال والحيوانات الصغيرة معاً، كما هو الحال في المجتمعات الرعوية حالياً (مثل قبائل النوير في جنوب السودان)، لذا فبطريقة ما فإن قصص حياتهم تتشابك معاً. ومن خلال الدراسة الأنثروبولوجية الثقافية لمجتمع قبائل النوير، فإن الدور الأساسي للسيدات وصغار السن هو حلب الأبقار، بينما يكون دور الرجال هو الرعاية، وتغذية الحيوانات والقيام بتزيين الثيران المفضلة لديهم، والتي يتم التضحية بها لاحقاً في مراسم وطقوس مخصصة لذلك. وقد عثر على بعض النماذج القليلة لتماثيل الماشية الصغيرة، كما في وادي شو (انظر صورة رقم تمثل التمثال الصغير، الذي تم ترجيح تأريخه لعصور ما قبل التاريخ بالمنطقة).

أما بخصوص التماثيل الأنثوية أو تماثيل الأمومة، فقد عثر على أجزاء تماثيل صغيرة بهئية بشرية تم تأريخها للعصر الحجري الحديث في مواقع جبانات منطقة النيل الأوسط، وهى قليلة العدد بالمقارنة مع المواد الثقافية الأخرى حيث لم يعثر سوى على قطع قليلة العدد: نموذجان أحداهما من التراكوتا (الطمي المحروق)، والآخر من الحجر الرملي. لكن لاحقاً أثناء العمل في موقع الكدادة من خلال حفائر (رينولد)، تم العثور على العديد من التماثيل الصغيرة، كما تم العثور على تماثيل صغيرة مشابهة في مواقع أخرى في وادي الخوي (جبانات كدركة). وأغلب هذه التماثيل مصنوعة من التراكوتا، مع بعض القطع من الحجر الرملي. ويرجح أن هذه التماثيل لها رمزية معينة نظراً لعدم تمثيلها الهيئة الأدمية بسكل واقعي، وإنما بأسلوب فني لا يخلو من المبالغة في بعض الأحيان في إظهار السمات الأنثوية أو التجريد في بعض الأحيان. كما أنه لم يتم تمثيل الرأس، ولا الأيدي أو الأرجل، مع الوضع في الإعتبار العثور على معظم هذه التماثيل مكسرة إلى قطع. (٣)

1) Longa, Anna. (2011). p.16
2) Dittrich, A. (2011). pp.71-2
3) Reinold, J. (2002). Néolithique de Soudan central et de Haute Nubie données sur le matériel céramique. In: Lenssen-Erz et al. (eds.). Tides of the Desert. Gezeiten der Wuste.

إن التماثيل ذات الهيئة الأنثوية معروفة منذ العصر الحجري القديم حيث فكرة "الربة الأم"، وهى ظاهرة محببة في كل الحضارات القديمة سواء كتماثيل أو في مناظر الفن الصخري. فعلى سبيل المثال: تم الكشف عن عدد من التماثيل الأنثوية في بعض الدفنات في البداري بجنوب مصر، كما عثر على تماثيل أنثوية صغيرة في مواقع نيوليثية بالشرق الأدنى القديم تشبه التماثيل الصغيرة التي عثر عليها في السودان القديم، مثل موقع : عين الغزال بالأردن، وتل المريبط بسوريا.[١] ويذكر (رينولد) أن الثراء في المصنوعات الفخارية (كالتماثيل الصغيرة من التراكوتا) يميز جبانات السودان النيوليثية عن مثيلاتها المصرية التي ترجع للعصر الحجري الحديث.[٢]

Contributions to the archaeology and environmental history of Africa in honor of Rudolph Kuper. *Africa Praehistorica* 14. *Monographs on African Archaeology and Environment*. p.213

1) Padro Mata, Por Pilar. (2004). Possible parallels between Egyptian and Sudanese Neolithic figurines, and another contemporaneous ones coming from the Near Eastern Area. *Boletin de la Asociacion Espanola de Orientalistas* xl. pp.135-147.

2) Reinold, J. (2002). p.214

النتائج:

- من خلال الدراسة، يظهر وجود العديد من التشابهات في عادات الدفن بين الصحراء الغربية ومنطقة النيل الأوسط، مع وجود بعض الاختلاف أيضاً ويعزى ذلك بشكل أساسي لاختلاف طبيعة الصحراء عن وادي النيل، مع مراعاة أنه في كلا المنطقتين كان لحرفة الرعي دوراً كبيراً في المجتمعات النيوليثية، بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى كالصيد وصيد الأسماك والجمع والإلتقاط، وأيضاً الزراعة في بعض المواقع.
- كما ينطبق الأمر نفسه على مواقع الجبانات في منطقة الدراسة الواحدة: فيوجد العديد من السمات المشتركة، وأيضاً بعض الإختلافات بين المواقع وبعضها: على سبيل المثال: لا تظهر التضحية البشرية في كل الجبانات بمنطقة النيل الأوسط رغم تسجيل الممارسة في مواقع كدركة والكدادة، كذلك وجود عادة دفن الأطفال دون سن السادسة من العمر ودفنهم داخل أواني فخارية أو جرار كبيرة الحجم، حيث تم تسجيلها في مواقع الكدادة والصور.
- كما خلص البحث إلى أهمية الدور الذي لعبته الماشية خلال العصر الحجري الحديث سواء في الصحراء الغربية أو في منطقة النيل الأوسط. وهذا ما تظهره البقايا الحيوانية داخل الدفنات سواء وجود دفنة حيوانية كأضحية أو جزء من الحيوان (كالقرون مثلاً) أو الأدوات المصنوعة من مواد حيوانية. ولعل أهمها: **Bucrania** وهى عبارة عن القرون والجزء العلوي من الجمجمة، وهى توجد في العديد من الدفنات سواء في النوبة العليا (كدركة– R12) بشكل أكبر من جبانات السودان الأوسط (الكدادة– الغابة). وتجدر الإشارة إلى استمرار هذه الممارسة لاحقاً في حضارة كرمة وبشكل كبير، وهذا يدل على استمرار أهمية دور الماشية في السودان كمجتمع رعوي بالدرجة الأولى.
- ومن خلال الدراسة، يظهر وجود علاقات تبادل تجاري خلال العصر الحجري الحديث وذلك من خلال دراسة المواد المستوردة القادمة من أماكن أخرى إلى كل من: الصحراء الغربية ومنطقة النيل الأوسط. ولعل أهم تلك المواد: الملاخيت والمغرة الحمراء وصدف المحار البحري القادم من البحر الأحمر، كذلك الأمازونيت والذي كان يعتقد لفترة طويلة بأنه قادم من هضبة تبستي بالصحراء الوسطى، لكن من خلال الدراسة المعملية الحديثة لتكوين الحجر وجد أنه قادم من إثيوبيا، وهو مايدل على وجود تحركات بشرية وتبادل تجاري.
- وبالإضافة إلى وجود تلك المواد، فتجدر الإشارة إلى وجود "تشابه فكري" فيما يخص بأهمية تلك المواد. فيلزم لجلب تلك المواد المستوردة جهد ووقت وأيضاً موارد لكي تجلب من موطنها الأصلي وتوضع بجانب المتوفى، وهذا ما يدل على وجود أهمية لهذه المواد وربما رمزية معينة. وتشترك المواقع المختلفة في هذه الأهمية نظراً لوجود الأمازونيت –مثلا– في أكثر من موقع في الصحراء الغربية والنوبة العليا وأيضاً في وسط السودان.

وينطبق الأمر نفسه على بعض الأدوات والأغراض المميزة التي ظهرت في العديد من المواقع بمنطقتي الدراسة، وأهمها: كأس التوليب الذي يرجع للفترة المتأخرة من العصر الحجري الحديث والذي يظهر في كثير من المواقع: جبل الرملة، ووادي هوار بالصحراء الغربية، ومواقع كدركة، الغابة، R12 ، الكدادة، والكدرو بمنطقة النيل الأوسط. تجدر الإشارة إلى أن كأس التوليب أيضاً قد ظهر في مصر ولعل أشهر المواقع المصرية: دير تاسا والذي يوجد منه العديد من النماذج بالمتحف المصري بالتحرير. وأغلب الظن أن هذا الكاس يرتبط بطقس معين خاص بصب السوائل، وإن كان لايوجد حالياً المزيد من المعلومات عن ذلك، لكن يوجد نقش مميز في موقع (جبل الكتابة) يصور اثنين من كئوس التوليب على أحد الصخور والذي ربما يشير إلى أن هذا المكان هو محل إقامة طقس معين. وأياً ما يكن، فإن وجود الكأس وإنتشاره في العديد من المواقع بداخل الدفنات يشير إلى وجود أهمية معينة لهذا الكأس وربما وجود طقس مشترك مارسه سكان تلك المواقع.

الصور والخرائط

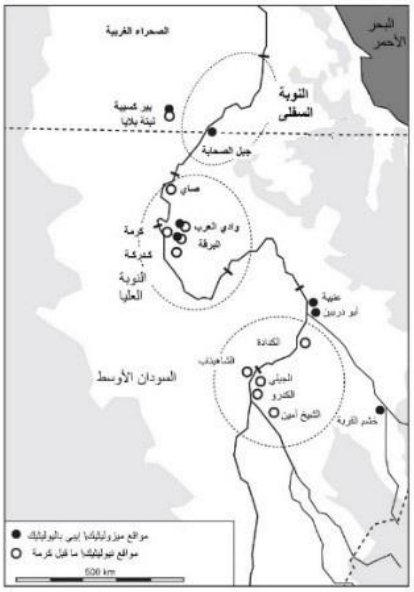

شكل رقم (١): خريطة توضح منطقة النيل الأوسط: النوبة السفلى شمالاً، النوبة العليا، ثم السودان الأوسط جنوباً مع أهم المواقع التي ترجع لعصور ما قبل التاريخ: العصر الحجري الوسيط (الميزوليثي)، والعصر الحجري الحديث (النيوليثي) بالمنطقة. المصدر: نقلاً عن:

Honegger, M., Williams, M. (2015). Human occupations and environmental changes in the Nile valley during the Holocene: The case of Kerma in Upper Nubia (northern Sudan). Quaternary Science Reviews, p.2.

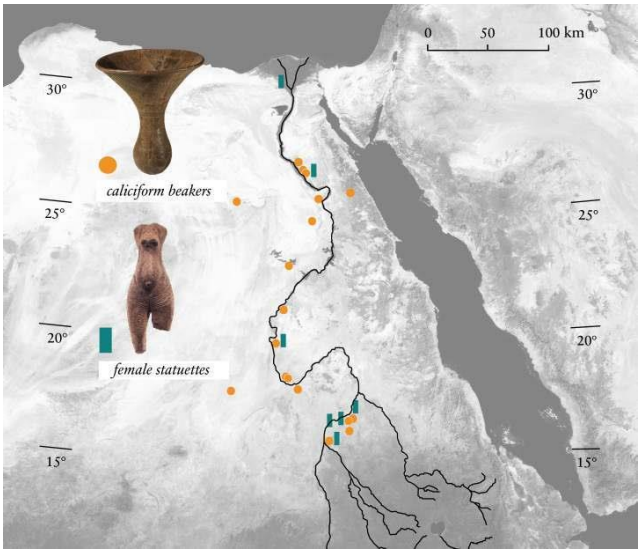

شكل رقم (٢): خريطة توضح توزيع كئوس التوليب والتماثيل الأنثوية بالجبانات النيوليثية عبر وادي النيل (مصر – السودان). المصدر:

Dittrich, A. (2011).p.85

شكل (٣): بعض نماذج من كئوس التوليب: على اليمين: من دفنات جبل الرملة، الوسط: من جبانة R12 بالنوبة العليا، وعلى اليسار: من جبانة الكدادة بوسط السودان.

المصدر: Kobusiewicz, M. et al. (2009). p.168

Salvatori, S.; Usai, D. (2004). p.38.

Reinold, R. (2001). p.11

قائمة المراجع:

- **Aston; B. & Harrel, J.A.& Shaw, I. (2000). Stones. In: Nicholson, T. & Shaw, I. (eds), Ancient Egyptian Materials and Technology. Cambridge University Press. Cambridge. Pp.5-77**
- **Briois, F. et al. "Neolithic occupation of an artesian spring: KSO43 in the Kharga Oasis, Egypt." Journal of Field Archaelogy 37.2 (2012). Pp.178-191.**
- **Brunton, G. (1937). Mostagedda and the Tasian Culture. London.**
- **Caneva, I. (1988). El Geili: The history of a middle Nile environment, 7000 BC- 1500AD. British Archaeological Reports 424. London.**
- **Caneva, I. (2010). 'Prehistoric Hunters, herders and tradesmen in Central Sudan. Data from the Geili region', in W.V. Davies (ed.). Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam. London. pp.6-15.**
- **Cenci, L. (2008). The animal-bone tools. In: Salvatori, S. & Usai, D. (eds), A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12. Sudan Archaeological Research Society Publication Number 16. Archaeopress, Oxford**
- **Chaix, L. et al. (2012). Bucrania from the Eastern cemetery at Kerma (Sudan) and the practice of Cattle Horn deformation. Prehistory of Northeastern Africa. Studies in African Archaeology 10. Poznań Archaeological Museum 2012. pp.185-208**
- **Czekaj-Zastawny, A.; Goslar, T.; Irish, J.; Kabaciński, J. (2018). Gebel Ramlah- a Unique Newborns' Cemetery of the Neolithic Sahara. African Archaeological Review, 35(3).pp. 393–405.**
- **Honegger, M. (2005). Kerma et les débuts du Néolithique Africain. Genava. LIII, pp.239-249.**
- **Friedman, R. F. & J. Hobbs. (2010) A "Tasian" tomb in Egypt`s Eastern Desert, in R.F. Friedman (ed.). Egypt and Nubia: Gifts of the Desert. London. pp.178-191.**
- **Gautier, A. & Van Neer, W. (2011). The fauna of Kadero and the arrival of pastoralism in the Nile Valley of Central Sudan. In:**

Chlodnicki, M., Kobusiewicz, M. & Kroeper, K. (eds). The Lech Krzyzaniak Excavations in the Sudan. Kadero. Poznan Archaeological Museum, Poznan,

- **Gatto, M.C. (2006). Prehistoric Nubian ceramics traditions: origins, development and spreading trajectories. in I. Caneva and A. Roccati (eds.) Acta Nubica. Roma. pp.103-106.**
- **Hendricks, S. (2006). Predynastic – Early Dynastic Chronology. in E. Hornung, R. Krauss and D. A. Warburton (eds.). Ancient Egyptian Chronology. Leiden- Boston. pp. 55-93.**
- **Kobusiewicz, M., J. Kabacinski, R. Schild, J. D. Irish and F. Wendorf. (2004). Discovery of the Neolithic cemetery in Egypt`s Western Desert. Antiquity 78. pp.566-578.**
- **Kobusiewicz, M., Kabaciński, J., Schild, R., & Irish, J. D. (2009). Burial practices of the Final Neolithic pastoralists at Gebel Ramlah, Western Desert of Egypt. British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan, 13. Pp. 147–174.**
- **Kobusiewicz, M. & Kabacinski, J. (2010). Cemeteries. In: Kobusiewicz, M., Kabacinski, J. Schild, R., Irish, J.D., Gatto, M.C. & Wendorf, F. (eds), Gebel Ramlah. Final Neolithic Cemeteries from the Western Desert of Egypt. Institute of Archaeology and Ethnology, Polish Academy of Sciences, Poznan. pp.7-115.**
- **Krzyzaniak, L. (1991).'Early farming in the Middle Nile basin: Recent discoveries at Kadero (Central Sudan)', Antiquity 65, pp.515-532**
- **Longa, A. (2011). Neolithic beakers from North- Eastern Africa. Sudan and Nubia. The Sudan Archaeological Research Society Bulletin (15).**
- **Marshack, A. (1981). On Paleolithic ochre and the early uses of color and symbol. Current Anthropology22 (2). pp.188-191.**
- **Padro Mata, Por Pilar. (2004). Possible parallels between Egyptian and Sudanese Neolithic figurines, and another contemporaneous ones coming from the Near Eastern Area. Boletin de la Asociacion Espanola de Orientalistas, xl. pp.135-147.**

- **Pöllath, N. (2008). Tools, ornaments and bucrania: the animal remains. In: Salvatori, S. & Usai, D. (eds), A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12. Sudan Archaeological Research Society Publication Number 16. Archaeopress, Oxford. pp. 59-77.**

- **Salvatori, S. (2008). Relative and absolute chronology of the R12 cemetery. In: Salvatori, S. & Usai, D. (eds). A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12. Sudan Archaeological Research Society Publication Number 16. Archaeopress, Oxford, pp. 139-146.**

- **Salvatori, S. & Usai, D. (2008). A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach (Sudan): Grave Catalogue.in: Salvatori, S. & Usai, D. (eds.). A Neolithic Cemetry in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12. Sudan Archaeological Research Society. Publication Number 16. Archeopress. Oxford. pp. 161-283**

- **Salvatori, S. (2016). Ghaba Cemetery Seriation and Radiometric Chronology, In: Salvatori, S., Usai, D., & Lecointe, Y. (Eds.). GHABA: An early Neolithic cemetery in central Sudan. Africa Magna.**

- **Reinold, J. (1982). Le site Préhistorique d`El-Kadada (Soudan central). La Nécropole. Thèses de décorât de troisième cycle. Université de Lille III, Lille.**

- **Reinold, J. (1993). Les sépultures primitives de Sedeinga dans le contexte du Néolithique Soudanais. In : Berger, C., Clerc, G. & Grimal, N. (eds), Hommages à Jean Leclant, Vol. 2 : Nubie, Soudan, Éthiopie. Paris, pp. 351-359.**

- **Reinold, J. (1994). 'Le cimetière néolithique KDK.1 de Kadruka (Nubie soudanaise) : Premiers résultants et essai de corrélation avec les sites de soudan central', in C. Bonnet (ed.). Etudes Nubiennes. Congres Int. d`études Nubienne, Genève 1990. Vol.2. Genève. pp. 93-100.**

- **Reinold, J. (2001). Kadruka and the Neolithic in the Northern Dongola Reach. Sudan & Nubia 5, pp.2-10.**

- **Reinold, J. (2002). Néolithique de Soudan central et de Haute Nubie données sur le matériel céramique. In: Lenssen-Erz et al. (eds.). Tides of the Desert. Gezeiten der Wuste. Contributions to the archaeology and environmental history of Africa in honor of Rudolph Kuper. Africa Praehistorica 14. Monographs on African Archaeology and Environment. p.213**

- **Reinold, J. (2004). Le Néolithique soudanais : funéraire et structures sociales. In : Guilaine, J. (ed.), Aux marges des grands fouers du Néolithique. Périphéries débitrices ou créatrices ? Editions Errance, Paris, pp. 149-174.**
- **Reinold, J. (2007). La nécropole néolithique d`el- Kadada au Soudan central. Volume I. Les cimetières A et B (NE-36-O/3-V-2 et NE-36-O\3-V-3) du Kom principal. Editions Recherches sur les Civilisations. Paris.**
- **Wendorf, F., R. Schild, A. Applegate and A. Gautier. (1997). 'Tumuli, Cattle burials and Society in the Eastern Sahara' in B.E. Barich and M. C. Gatto (eds). Dynamics of populations movements and responses to climatic change in Africa, Rome, pp. 90-104**